حوليات آداب عين شمس المجلد 52 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2024)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

التأثيرات المعاصرة على بناء الذات في المجتمع الخليجي: الكويت نموذجاً

د. فواز عويد العنزي*

قسم الاجتماع و الخدمة الاجتماعية– جامعة الكويت
fawazoweid@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/11/12
تاريخ قبول البحث: 2024/11/13
تاريخ النشر: 2024/12/30

المستخلص:

عمدت هذه الدراسة إلى عرض لمفهوم الذات وبعض الدراسات التي تناولت الذات وكيفية تشكلها والمؤسسات الاجتماعية التي تساهم في تشكيلها (من أسرة ومدرسة وجماعات أقران ووسائل إعلام). ثم استعرضت مستويات رؤى الذات، محاولين توضيح مفهوم الذات في سياق العولمة والتغيرات التي طرأت على المجتمعات في العالم – ولاسيما العربية منها – من تكنولوجيا الاتصالات الحديثة وتداعياتها على الذات. ثم تناولت التجربة اليابانية الفريدة والناجحة في تطوير الذات المعاصرة، ثم استخلصنا الدروس المستفادة منها وخرجنا بتحليلات يمكن إسقاطها على واقع المجتمع الكويتي الأمر الذي قد يفيدنا في صياغة نموذج تصوري لتنمية الذات الكويتية. وفي الختام عرضت هذة الدراسة مجموعة من السيناريوهات التي يجب طرحها على أرض الواقع حتى نتمكن من تحقيق تنمية ذاتية حقيقية.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2024.

مقـــدمـــة:

تعد دراسة "الذات" نقطة التقاء بين مجال اهتمام العديد من العلوم الاجتماعية، ويأتي في مقدمتها علم النفس الذي يتخذ من "الذات الفردية" وحدة أساسية في دراساته، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، والأنثروبولوجيا، وعلم السلالات والجغرافيا البشرية، والأدب والتراث الشعبي وغيرها. ومن هنا شغلت دراسات الذات موقعاً متميزاً في خريطة اهتمام هذه العلوم منذ زمن بعيد (محمد عبدالنبي، 1996:239).

وقد اكتسب مفهوم الذات ــ قديماً وحديثاً ــ أهمية خاصة في العديد من الدراسات الفلسفية والنفسية والاجتماعية، بل إنه غدا حجر الزاوية في كثير من البحوث والدراسات الأمبيريقية التي خلصت إلى أن فكرتنا عن ذاتنا لها كل التأثير في سلوكنا وتوافقنا الشخصي والاجتماعي. وأن أية محاولة لفهم السلوك الإنساني فهماً متكاملاً لا يمكن أن تتحقق بمنئى عن دراسة الذات (كمال التابعي، 1996:354). ولأهمية الموضوع فقد وظفت الأبعاد الاجتماعية والنفسية والثقافية لتحقيق فهم معمق للذات الكويتية المعاصرة.

أولاً: مفهوم الذات: تأصيل معرفي

الواقع أن هناك تعريفاتٍ عدة صاغها العلماء لتحديد مفهوم الذات مثل تعريف كل من وليم جيمس، نيوكومب، ألبورت، جورج ميد، كولي، إنجيال، كاتل، سيموندس، هليجارد، ستيفينسن، شين، سارين، سوليفان، إنجلش وروجرز. ويتضح لنا من خلال ما قدمه هؤلاء العلماء من تعريفات أنه لا يمكن لنا أن نحقق فهما كاملا للسلوك الإنساني، إن لم نضع في اعتبارنا مفهوم الذات.

أ- **صعوبات تحديد ماهية الذات:** لقد عبر عن الفرد بمفهومات متعددة ظهرت عبر تطور الفكر الاجتماعي، منها الفاعل بمعنى Actor أو بمعنى Agent ومنها الذات Self ومنها الذات الفاعلة Acting Self. وعلى الرغم من استخدام مفهوم الذات في تراث علم الاجتماع يعدُ قديما، إلا أن الاهتمام المعاصر قد فاق كل تصور، قد يرجع ذلك إلى ما تعانيه الذات في مجتمعاتنا من مشكلات وجودية. فهناك إجماع على أن عالمنا المعاصر يفرض على الذات في الحياة الاجتماعية ضغوطاً بنائية، مؤسسية، فثمة تعقيدات جمة في الأبنية الاقتصادية والسياسية والثقافية والأيديولوجية تكبل الأفراد وتحد من قدرة الذات الفردية أو الجماعية على الحركة والفعل، ومن ثم القدرة على تحقيق الذات بشكل كامل (أحمد زايد، 1996:149).

ويتأتى صعوبة تحديد ماهية الذات من الغموض الواضح في معنى "الذات"، ولاسيما أن هذا المفهوم يتقاطع دائماً في معناه مع مفهوم آخر هو مفهوم "الشخصية". ونزعم أن "الذات" تعني جوهر الفرد (ذاتي أنا)، ووجود الذات قبل وجود ماهية الفرد، أي شخصية الفرد. أما الشخصية فهي مجموعة من "السمات" والسمة كما يعرفها "أحمد راجح" هي العلامة المميزة. وفي علم النفس تعني الصفة الثابتة التي تميزه من غيرة. وتضم المميزات الجسمية والحركية والعقلية، والوجدانية، والاجتماعية" (1973:381). والحقيقة أن "الذات" شيء مرتبط بكينونة الفرد، وهي التي تبنى عليها سمات الفرد، أي شخصية الفرد. وهذا معناه أن ثمة "جوهراً ثابتاً" في الإنسان هو ذاته. ودور هذه الذات يتمثل من وجهة نظرنا في زرع قيم ما يرغب بها المجتمع أو القائمين عليه وتثبيتها.

ويقر "لالاند" بالصعوبة الشديدة في تعريف هذا المصطلح، فنسميها أحيانا "ذاتاً منطقية" وهي الذات التي تحدد شكل القضية. و"ذاتاً واقعية" لما أسميناه **ذاتاً منطقية**، أي تلك الذات التي تشكل في الحقيقة المادة، ثم نسمي في نفس الوقت تلك "**الذات الواقعية**" بالذات الملازمة، أي التي تلحق محمول أساسي بموضوع ونسميها أيضا **بالذات الميتافيزيقية**، وعندما لا يعبر عنها مباشرة نطلق عليها **ذات نهائية**. ولعل هذه الصعوبات هي التي دفعت "نتشه" "1844–1900" من قبل للإعلان **أن معرفة الذات قد كانت دائماً وأبداً أصعب ضرب من ضروب المعرفة** (مجدي عبدالحافظ، 1996:142).

ب–تعريفات الذات من المنظور النفسي والاجتماعي:

* **الذات من منظور علم النفس:** في علم النفس تعني الذات محل التفكير والشعور، فتقف الذات على الواقع، وتتقبل الرغبات والمطالب وتوحد الصورة الذهنية. ويعرفها "جاردنر مورفي" بأنها "ادراكات الفرد وتصوراته لوجوده الكلي كما يعرفه". ويصف "ألبرت فيري" الذات بأنها " كل جوانب حياة الفرد التي يعتبرها خاصة به وجوهرية لمعني وجوده، مما يعطي شخصيته الوحدة والتميز والامتداد، وهي النظام الديناميكي للمفاهيم والقيم والأهداف والمثل التي تقرر الطريقة التي يسلكها الفرد". أما عالم النفس "كارل جوستاف يونج" فيشير إلى أن الذات – بالنسبة للشخصية – ليست مركز الدائرة فحسب، وإنما هي أيضا محيطها، فالذات مركز كل هذا الكل، وهي الصيغة الإجمالية للشخصية، كما يري أن الذات تحوي الشعور واللاشعور، وتمثل الذات أكبر تعبير عن الفرد، باعتبارها مركز الشخصية، فإن الوعي بالذات يحقق الوحدة والاتساق بين مكونات الشخصية (بشير الرشيدي، 1995).

ويعرف "تشارلز هورثون كولي" الذات أو الطبيعة الإنسانية بأنها لا توجد ولا تأتى للإنسان بالمولد ولا يمتلكها الفرد إلا بالصداقة والمشاركة. وفي موضوع آخر يرى أنها عادة ما يشار إليها في الحديث العام بتلك الضمائر الدالة على الشخص الفرد مثل My Self , My , Mine (Cooly, 1964). أما علماء النفس فيستخدمون مفهوم **الذات الأمبيريقية** Empirical Self باعتبارها حقيقة نفسية يمكن إدراكها بسهولة بالملاحظة المنظمة (جمال ابو شنب، 1996:191). كما تعرف الذات باعتبارها تكوين معرفي منظم ومعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد، ويعتبره تعريفا نفسيا لذاته، ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسقة التي تتحدد أبعادها من العناصر المختلفة لكينونته الداخلية أو الخارجية، وتشمل هذه العناصر المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات كما تنعكس إجرائياً في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو "مفهوم **الذات المدرك**"، والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد أن الآخرين في المجتمع يتصورونها والتي يتمثلها الفرد بالتفاعل الاجتماعي مع الآخرين "مفهوم **الذات الاجتماعي**"، والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود أن يكون "مفهوم **الذات المثالية**".

ويحدد "كارل روجرز" ــ مؤسس نظرية الذات ــ الذات في العناصر الآتية:

1. مدركات وقيم تنشأ من تفاعل الفرد مع البيئة.
2. المحافظة علي سلوك الفرد.
3. النمو والتغير بالتفاعل المستمر مع المجال الظاهري (وهو الواقع المحيط بالفرد والذي يدرك أهميته، لأن الفرد يختار استجابته على أساس ما يدركه لا على أساس الواقع)، والفرد لديه أكثر من ذات: **الواقعية، المثالية،**

الخاصة. كما انه يوجد لدينا جميعا حاجة إلى الاحترام والتقدير من الآخرين ولاسيما هؤلاء البارزين في حياتنا، كما أننا وبنفس القدر نحتاج إلى الاحترام والتقدير من أنفسنا لذاتنا; الأمر الذي سيترتب علية إحساسنا بنوع من التكيف النفسي (عبدالرحمن العيسوي، 2002).

أما "جورج هربرت ميد" G.H. Mead فيرى أن الذات تمتلك صفات تكون مختلفة عن تلك التي تناسب الكائن من الناحية النفسية، أو أنها الشيء الذي تم تنميته، وأنها لا توجد بالضرورة بالميلاد بل تنهض من خلال عمليات الخبرة الاجتماعية والنشاط، والتي تنمو لدى الفرد نتيجة لعلاقاته بتلك العمليات، ثم لعلاقاته بالأفراد الآخرين خلال تلك العمليات. ويضيف "ميد" أن الذات تنمو شأنها شأن العديد من مكونات الشخصية (Mead, 1967). وهذا ما يؤكده "كارل روجرز" بأن الطفل يتعلم كيف يدرك ويقوم ذاته في سياق الخبرات المكتسبة من الشخصيات ذات الدلالة في حياته، وسيحدد إلى حد كبير طريقة استجابته لذاته بناءًا على الكيفية التي استجاب هؤلاء الأفراد له (عبدالرحمن العيسوي، 2002).

ويرى "هاري ستاك سوليفان" أن الذات بمثابة منظومة من أساليب سلوكية يكتسبها الفرد، لتجعله آمنا، لأن هذه الأساليب الناتجة عنها تتوافق مع رغبات الأبويين (في الصغر) فيلقى التعزيز الموجب في الوقت الذي قد يلقي العقاب وما يصاحبه من قلق إذا لم تؤدي هذه الأساليب السلوكية ما يراد منها (سامي محمد ملحم، 2001).

***الذات من منظور علم الاجتماع:** إذا كانت بؤرة اهتمام علم النفس تنصب على دراسة الذات الفردية بسماتها وقدراتها الخاصة وتحليلها، فإن اهتمام علم الاجتماع بهذه الذات الفردية يتمثل في خصالها الاجتماعية التي تنبع من تأثير الجماعة والمجتمع في هذه الذات وما تتشربه في الحياة الاجتماعية من أفكار وتصورات وقيم ومعتقدات وسلوكيات تتمثلها من بيئتها الاجتماعية، وانعكاس ذلك على دينامية العلاقة بين هذه الذات في علاقتها بالجماعة أو الجماعات التي تعيش في إطارها والمجتمع الذي تنتمي إليه. وقد قدم "صالح جادو" مجموعة من التعاريف لمفهوم الذات كما وردت في العلوم الاجتماعية . فمفهوم الذات عند بعضهم يشير إلى "إدراك الفرد لذاته في أبعادها الجسدية والانفعالية والعقلية والاجتماعية. ويتضمن فكرتنا عن أنفسنا وعن جوانب خبرتنا المتعددة . كما يتضمن تقديرنا لجوانب القوة والقصور في شخصيتنا" (صالح محمد جادو، 2002:136).

وقد استخدم "أنتوني جيدنز" مفهوم الذات باعتبارها ذات الفرد الفاعل كما يدركها هذا الفرد إدراكاً إنعكاسياً في ضوء تاريخه الشخصي الخاص أو في ضوء خبرته الاجتماعية. ويفترض أن الهوية الفردية Self Identity بهذا المعنى تتشكل في ضوء سياق اجتماعي، يفرض عليها دائما هموماً ومشكلات (Giddens, 1991).

ويضيف "محمد الجوهري" أن استخدام علماء النفس الاجتماعي مفهوم الذات يكون مرادفاً تماماً لصورة الذات، ويمثل ذلك في استخدام "مورفي" G. Murphy له على أنه تصور الشخص لنفسه ككل. أما استخدام العلماء أصحاب الاتجاه الاجتماعي مثل هربرت ميد فيشير إلى الذات الاجتماعية أساساً، ويعتبرون الفرد من خلال أخذه لأدوار الآخرين ضمنا يشكل شعوراً عن ذاته قائماً على استجابات الآخرين (محمد محمود الجوهري، 1980:21).

وإذا كانت الذات وحدة، إلا أنها وحدة شديدة التعقيد ومرتبطة أشد الارتباط بالعالم الخارجي حولها، وبنفس القدر من الارتباط مع دوافعها وتأملاتها وعالمها الخاص. ومن ثم يمكننا ــ اعتماداً على جملة التعاريف السابقة ــ اقتراح التعريف التالي للذات: "**هي كل ما يخص شخصية الفرد في أبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية، وما اكتسبه من قيم ومفاهيم وأهداف، وما يحتويه من تصورات لوجوده وإدراكه لنفسه، وطريقة استجابته للمثيرات الخارجية، مما يشكل فرديته وتميزه والطريقة التي يسلكها في الحياة**".

ثانياً: مصادر تشكل الذات:

تعتمد الذات في تكوينها على مصادر متعددة، لها تأثير مباشر في تشكيلها وتأهيلها لكي تصبح عنصراً فاعلاً في المجتمع، ومن هذه المصادر:

- **الأسرة وتشكيل الذات الاجتماعية:**

يشير "فيرز" إلى أن الذات الفردية تنمو وتتطور في ضوء الخصائص التي تتميز بها الجماعات الأولية كما أوضحها "كولي" أي أنها تصل إلى مرحلة اجتماعية، ويطلق عليها بالذات الاجتماعية Social Self، حيث تمتلك الإحساس بالكل المعبر عنه بالشعور بـــ"نحن" We . وأن ذلك لا يتأتى إلا بعلاقات المواجهة المباشرة وجها لوجه، والتي تتيح لهم فرصة اكتساب خبرات جديدة (جمال ابو شنب، 1996:193).

وهنا تلعب التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة دوراً مهماً في تشكيل الذات الاجتماعية. فالأسرة هي المجال الأول الذي يتعلم فيه الطفل الأنماط السلوكية المتنوعة، فالأم على سبيل المثال لها تأثير كبير على تكوين شخصية الطفل، خصوصا في السنتين الأوليتين أكثر من الأب . وكل هذا يتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتي يعرفها "شتا" بأنها "عملية التفاعل الاجتماعي التي يكتسب الأفراد من خلالها شخصيتهم ويتعلمون في نطاقها طريقة الحياة في مجتمعهم" (السيد علي شتا، 1997:97). ويذهب "كولي" إلى أن الإحساس الذاتي الذي يتصف بالغريزية وحب التملك ينمو ويتطور في إطار المشاركات والخبرات الاجتماعية. وهكذا يمكن القول إن الذات الفردية لا تنمو في فراغ ولكن في إطار الوسط الاجتماعي والبيئة الاجتماعية من خلال التفاعل الاجتماعي (Cooly, 1964).

- **المدرسة:**

تعتبر المدرسة امتدادا للأسرة، وهي المؤسسة الرسمية الأولي التي أنشئت لتوجه نمو الطفل عن طريق اكتسابه للقيم الاجتماعية والاتجاهات السليمة والمهارات الاجتماعية وتعلمه المزيد من المعايير الاجتماعية، والأدوار الاجتماعية، كذلك يتم بها تحقيق الدوافع وإشباع الميول لدي الطفل وصولا إلى تقدير الطفل لذاته. ويؤكد "جمال أبو شنب" (1995)، إلى أن هناك حاجة ملحة إلى إتاحة الفرصة للدارسين للتعبير عن الذات وتوكيدها، كما أنه يشير إلى التفوق الدراسي باعتباره هدفاً رئيسياً للدارسين لتحقيق التوافق الذاتي لشخصية الفرد مع الواقع الجماعي التعليمي الذي ينتمي إلية الفرد. ويتحقق توكيد الذات هنا بسعي القائمين على هذه المؤسسات إلى إتاحة الفرصة للدارسين ليعبروا عن ذاتهم مع ما يتوافق وإمكاناتهم الفردية مما سيؤدي إلى وصولهم لمستويات الإنجاز الدراسي. كما أن دور المدرسة في العادة يرسخ قيم

المجتمع في الفرد ولاسيما القيم المتعلقة بالشؤون السياسية ونظام الحكم كالمشاركة في نشاطات الدولة، والتسامح مع الآخرين، واحترام القانون، وحب الوطن والتمسك بالرموز الوطنية.

- **جماعة الأقران:**

يرى "كولي" أن الذات تنمو من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنسج حول الفرد. وأن نموها يتم في سياق التفاعل الاجتماعي، وأن الجماعات الاجتماعية وخاصة الأولية منها (الأسرة والأقران) تشكل القوى الاجتماعية المؤثرة في تشكيل الشخصية ونمو الذات (السيد علي شتا، 1997:85). ومن ثم تعتبر جماعة الأقران مصدراً رئيسياً من مصادر تكوين الذات. ومبرر ذلك أن الجزء الأكبر من حياة الطفل داخل المدرسة يدور حول العلاقات مع الأقران، وغالبا ما يكون تأثيرهم أكثر من المدرس والمدرسة. علاوة على أن جماعة الأقران تمثل الحلقة الثانية بعد الاستقلالية من الأسرة والتي تسهم في الإسراع في عملية النضج الاجتماعي للطفل.

- **وسائل الإعلام:**

تلعب وسائل الإعلام دوراً ملحوظاً في هذا المجال، خاصة في ظل ما يشهده العالم من ثورة وطفرة هائلة في تقنيات الاتصال والتكنولوجيا، مما ساعد على تغلغل بعض عناصر الثقافة الغربية في بنية الثقافة المحلية، الأمر الذي أدى إلى بروز مشكلات خطيرة كالاغتراب وتشويه الذاتية والهوية والشخصية القومية (جمال الدهشان، 1998:4). ومن ثم تشكل جميع وسائل الإعلام ــ سواء كانت مقروءة كالصحف والمجلات أم مسموعة كالإذاعة أم مرئية كالتليفزيون والإنترنت ــ مصادر أساسية في تكوين شخصية الفرد، ولاسيما تشكيل الوعي الذهني له وتنمية الفضول المعرفي لديه (إقبال الغربللي، 1996).

ثالثاً: مستويات رؤى الذات:

الذات هي لحظة تأمل أولي، وهي تعبير كلي شامل يستمد فعاليته ووجوده من الإنسان كطبيعة بشرية إنسانية بيولوجية فطرية، تتسم بالوعي الداخلي لحقيقتها، والوعي الخارجي المتمثل في تميزها ــ كذات إنسانية ــ عن أشياء وموضوعات الطبيعة، وعلى هذا يكون تقسيم **الذات المتعالية** و**الذات التجريبية** و**الذات الجمعية** عبارة عن وظائف وأدوار ومواقف لهذه الذات لجأ إليها بعضهم كإجراء منهجي يسهل على الباحث دراسة هذه الذات من هذه الوجوه المتعددة، ومن ثم يمكننا انتظار وظائف ومواقف وأدوار أخرى، يمكن أن تنسب في المستقبل للذات تبعا لحاجات البحث العلمي المتجددة (مجدي عبدالحافظ، 1996).

ومن ثم تكشف المناقشة السابقة عن تعدد مستويات النظر إلى الذات وتحديد هويتها، فهي "**ذات فردية**" تتمثل في الأفراد الفاعلين بسماتهم النفسية وخصالهم الاجتماعية، وتكون "**ذات جماعية**" تعبر عن خصائص جماعة اجتماعية أو فئة وشريحة معينة تحمل خصائص مشتركة وتشغل مواقع محددة في نسق العلاقات الاجتماعية القائمة. وقد تكون تنظيمات ومؤسسات وهيئات ذات طبيعة معينة تعبر عن كيانات لها واقع مادي وهوية معنوية قائمة تظهر في بيئة لها خصوصيات متميزة أو مجتمع معين، وهنا تكون **ذاتاً جمعية**. ويكشف محمد عبد النبي في دراسته عن تصور الذات والوعي الاجتماعي عن أنماط متباينة وكثيرة لصور الذات منها (محمد عبدالنبي، 1996):

- **الذات المتعالية:** وهي الذات المتنكرة لأصولها وثقافتها المحلية، وتحاول تقليد أساليب الحياة الغربية بصورة كلية، وغالباً ما يأتي هذا التقليد في صورة ممسوخة ومشوهة.
- **الذات المتضخمة:** ذات أصول وثقافة محلية ولكن أدت ظروف التحول إلى طفرة في أوضاعها سواء من حيث الثروة أم السلطة.
- **الذات المنسحبة:** تسعى على قدر استطاعتها إلى الانسحاب من صور التفاعل العامة والتقليل من كثافة العلاقات الاجتماعية.
- **الذات المبدعة:** وهي تلك التي تحاول بطرق عديدة أن توجد لنفسها أساليب مبتكرة، ويعتمد نجاحها في ذلك على قدراتها ومهاراتها الشخصية.
- **الذات المشتتة:** وهي غير محددة الأهداف تلهث وراء غايات متناقضة غالبا ما تقع فريسة للضغوط الاقتصادية والمالية.
- **الذات المثالية:** ما يطمح الفرد أن تكون عليه ذاته.

رابعاً: الذات في سياق العولمة:

جيران في عالم واحد "Our Global Neighborhood" هو شعار توثيقي لنظام جديد في طور التشكيل ترتسم فيه معالم طريق يقود الدول إلى تخيل بنائي كقرية صغيرة تضم الأمم والشعوب، وتتأكد فيها الحاجة إلى نظام قيم مشتركة ونظام أخلاقي مدني عالمي، وقيادة مستنيرة تقود الشعوب إلى جوار دولي واحد (أحمد مجدي حجازي، 1999:385).

وهناك العديد من التعريفات الخاصة بالعولمة أوردها "حمد الدعيج وعماد سلامة" مثل تعريف هارس مارشال ودولفوس وتعريف ووترز التي تمثلت في جوهرها بأنها "سهولة انتقال الأفراد والمعلومات والسلع وتذويب الحدود بين الدول والثقافات وزيادة التشابه بين الجماعات" (2007:16). ومما لاشك فيه أن للعولمة تأثيراً مباشراً على الثقافات المحلية، لأن العولمة تدفع باتجاه التحول من الثقافة المحلية إلى العالمية وقد تشكل العولمة تهديداً مباشراً لهذه الثقافات وما تتمتع به من سمات وخصائص دينية وتاريخية وقومية. وأنها قد تدفع الفرد إلى التشكيك بقيمة وقناعاته الدينية والثقافية. وقد أشارت دراسة "حمد الدعيج وعماد سلامة" التي أجريت على بعض طلبة الجامعة الأردنية وجامعة الكويت إلى نتائج إيجابية في مجملها للعولمة على قيم الشباب الكويتي والأردني حيث تفترض هذه الدراسة أن كلا البلدين يتميزان بالإنفتاح على العالم مقارنة بباقي الدول العربية حيث تتوافر فيهما "أدوات العولمة" من شركات عالمية وانتشار واسع لتكنولوجيا الاتصالات والإعلام وغيرها. وقد بينت نتائج هذه الدراسة أن العولمة تساهم في ترسيخ قيم الاستثمار والعلم والتنافس والصداقة وإتقان العمل. إلا أن هناك بعض النتائج السلبية للعولمة على القيم الدينية والقيم الثقافية للشباب العربي ولاسيما الشباب الكويتي لأنهم أن القيم التي تفرضها العولمة قد تتعارض مع كثير من القيم الدينية، وأشارت الدراسة أيضاً إلى أن الشباب الكويتي يرى أن هناك فجوة بين القيم التي تفرضها العولمة والقيم المستمدة من التراث الكويتي وتقاليده.

قد أصبح في حكم المتفق علية اليوم أن العولمة تدفع باتجاه شيوع الثقافة الاستهلاكية وتأكيد النزعة الفردية والتقليل من قيمة اللغة المحلية وزعزعة الانتماء الوطني والقومي، (محمد الجابري،1994; فلاح الربيعي، 2004; حمد الدعيج

وعماد سلامة، 2007; أحمد مجدي حجازي، 1999)، إضافة إلى تبني ثقافة العنف والموسيقى والمنتجات الغربية والعلاقات الجنسية (باسم خريسان، 2001 ; وبرهان غليون، 1999).

كما أن هناك مجتمعاً ذا ثقافة عالمية بدأ يتشكل فوق جميع المجتمعات الإنسانية وثقافاتها، ألا وهو "المجتمع الفضائي" (Cyber Society)، الذي يقوم على أساس رابطة جديدة ناشئة عن الاشتراك في شبكات الإنترنت، وهو مجتمع يتميز أفراده بالتحرر من الانتماءات اللغوية والقومية والثقافية والدينية والجغرافية والوطنية. وهو كما يصفه "الجابري" (2003)، وطن بلا حدود وبلا ذاكرة وتراث، إنه الوطن الذي تبنية شبكات الاتصال الالكترونية. إن وضع المواطن في عصر العولمة لن يتحدد بانتمائه إلى وطن حيث لا تعترف العولمة بوطن، فعالم العولمة بدون دولة وبدون أمة بل هو عالم المؤسسات والشبكات حيث يكون الفرد مستهلكاً للمأكولات والمعلبات والصور والمعلومات التي تفرض عليهم، ووطنهم هو المجتمع الفضائي.

ويذهب الأنثروبولوجي كوهلرKholer Gernot إلى أبعد من ذلك فيرى أن العولمة ستقود إلى مرحلة من "التمييز العنصري المعولم Global Apartheid في جميع مظاهر الحياة بما فيها الثقافة، لأن العالم سينشطر إلى ثقافتين: "ثقافة الأغنياء" (الأقلية) التي ستتحكم في العالم و"ثقافة الفقراء" (الأكثرية) والمغلوبة على أمرها (ثقافة من يملكون في مقابل ثقافة من لا يملكون)، ولكل ثقافة من هاتين الثقافتين بنيويتها وقيمها وسلوكياتها الخاص بها (علي الزعبي، 2004:20).

وربما يكون الاهتمام بالذات أو الهوية الذاتية ــ اليوم ــ راجعاً إلى ما لحق بالمجتمعات من تغيرات بفعل التحولات آنفة الذكر. فقد دخلت مجتمعات العالم ــ خاصة المجتمعات العربية منها ــ في حقبة جديدة من الزمن، أصبح يطلق عليها مسميات عديدة كحقبة الحداثة المتأخرة Late Modern Age وحقبة الرأسمالية غير المنظمة Disorganized Capitalism وحقبة عدم اليقين Uncertainty Phase ، وأصبح الوجود الفردي أو الذات في ضوء هذه الظروف المستجدة أحد الاهتمامات الرئيسية المطروحة للبحث الاجتماعي.

ومن الواضح أن ثمة إجماعاً على ولوج العالم إلى مرحلة جديدة تفرض على الذات العربية واقعاً جديداً، وتحدد العلاقة بين الذات والمجتمع على نحو جديد. فقد تحولت الذات Self إلى محور تحليلي في ضوء هذه الظروف. ذلك أن الحقبة الحداثية الجديدة ــ بما فيها من عالمية وعدم تنظيم وعدم يقين ــ قد خلقت علاقة مباشرة بين المحلي Local والعالمي Global، لتصبح الأدوار الوسيطة كتنظيمات الدولة ثانوية في العلاقة. وإذا نظرنا إلى الذات كواقع محلي فإنها تصبح مرتبطة مباشرة بالظروف الكونية أو الوسط الكوني (أحمد زايد، 2005:107). والمتأمل للدراسات الحديثة في الشخصية على مستوى التراث العالمي لم يعد بإمكانه الفصل أو التمييز بين المكونات المحلية والمتغيرات العالمية، فقد أضحى الجانبان ــ المحلي والعالمي ــ يمارسان تأثيرات مشتركة متكاملة ومتفاعلة على بنية الشخصية.

وقد امتدت تداعيات هذه التحولات العالمية المتسارعة إلى قلب الذات، لتتحول إلى مشروع انعكاسي Reflexive Project، فالتحولات التي تطرأ على حياة الفرد تفرض عليه إعادة تنظيم بنائه النفسي، فهذا البناء لم يعد يرتبط بالجماعة

والشعور الجمعي الذي يتم توارثه من جيل إلى جيل، بل أصبح على الفرد أن يعيد اكتشاف نفسه باستمرار، وأن يعيد تشكيلها. كما أن هيمنة العولمة بأشكالها المختلفة وخصوصاً الاقتصادية قد ساهم بشكل أو بآخر في تكريس الهوية الفردية وتحييد الهوية الجماعية والقومية (فلاح الربيعي، 2004).

والحقيقة أن إعادة تشكيل الذات في المجتمع الكويتي مرة أخرى، يرتبط ــ ولا شك ــ باستبدال الهوية الذاتية Self-Identity بالذات المجتمعية Self-Society التي كان الفرد يحتمي بها في المجتمعات التقليدية. ففي القرنيين الماضيين سادت الثقافة الأوروبية العالم من خلال غزوها الثقافي للعالم العربي والأفريقي أما اليوم فقد سادت الثقافة الأمريكية العالم والثقافة الأوروبية بدرجة ثانية ليس بالغزو الثقافي المصاحب للغزو العسكري الاستعماري ولكن من خلال مايسميه "باسم خريسان" (2001) بالاختراق الثقافي. لأن الدولة المالكة للتقانة تمكنت من التأثير في الدول الأخرى والهيمنة فكرياً وثقافياً عليها دون الحاجة إلى غزوها فعلياً. وعليه فإنه يتسنى لهذه الدول "السيطرة على الإدراك ومنه إلى تسطيح الوعي ... ومع السيطرة على الإدراك وانطلاقا منها يتم إخضاع النفوس أعني: تعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والقيم وتوجيه الخيال وتنميط الذوق وقبوله السلوك. والهدف تكريس نوع معين من المعارف والسلع والبضائع : معارف إشهارية هدفها تسطيح الوعي، وسلع استهلاكية تمنع الادخار وتعوق التنمية" (محمد الجابري،191:1994). وليس هناك وصف أبلغ وأدق من هذا الوصف لواقع عالمنا العربي الذي أصبح ميداناً للهيمنة الفكرية والثقافية الغربية، حيث أصبحت مجتمعاتنا مجتمعات أقل ما يقال عنها إنها مجتمعات استهلاكية مقلدة. فالمجتمعات العربية التقليدية ذات النظام الأبوي تنتج أفراداً عاجزين بحسب وصف "هشام شرابي"(1987; 1993)، بينما مجتمعاتنا الحديثة تعاني من الهيمنة الغربية وعليه فإن واقعنا العربي رهين لهاتين المعضلتين فتراثنا التاريخي يقيدنا وحاضرنا يحيدنا، لذلك فإنه يجب علينا محاكاة الواقع من خلال استخدام متزن للتقانة وللنتاج الفكري والثقافي الغربي مع ما يتماشى وإرثنا الاجتماعي والثقافي الذي يجدد المحافظة على هويتنا العربية والإسلامية.

إن التنمية الاجتماعية العربية تمر اليوم بإشكالات جمة نتيجة لغياب الرؤى الإستراتيجية المتكاملة علي المستويات المحلية والقومية كما أنها تفتقر إلى الأساليب العلمية الحديثة وتحكمها التقاليد التي قد تشكل عائقاً أمام الرقي (السيد يسين، 2001). وقد يعزو بعضهم هذا التخلف التنموي لأسباب مقصودة وموجهة من بعض القوى المحلية والخارجية التي ترتبط مصالحها بتكريس هذا التخلف (حامد خليل، 1993). وقد سلكت هذه القوى مسلكين رئيسيين في "تجهيل الناس وإلغاء عقولهم" وذلك من خلال: أ- عزل العقل، وهذا بسبب عزوفنا عن تحدي الطبيعة وعدم مواجهة حاجات الطبيعة المتجددة دائماً، وب- من خلال حشو العقل بثقافة استهلاكية إظلامية، ويتحقق هذا من الشعور بعدم الحاجة لأية ابتكارات جديدة، ومن عدم الشعور بالمنافسة مع الحضارات الأخرى (هادي الهيتي، 89:2003).

أصبح الفرد في ظل التغيرات الكوكبية منعزلاً عن جماعته شاعراً بالقلق وعدم الأمن. وقد تعمق هذا الشعور بعد أحداث 11 سبتمبر وتداعياتها المستمرة. ومن ثم فإن بناء الذات في الظروف الجديدة يحتاج إلى تدعيم من المجتمع ومساندته. ولعل المناداة بترسيخ مجتمع المعرفة والتنمية المستدامة، فرصة لإعادة صياغة جديدة للذات العربية، ومحاولة للتخلص من النواقص والعيوب، وآلية لمواجهة التحديات الجديدة بالتطوير والتنمية، وعليه فإن بناء الذات لا يكتمل إلا

بتقديرنا لذاتنا. ويمكن اعتبار تقدير الذات ــ كما يصفه كوبر سميث ــ بأنه التقويم الذي يقوم به الفرد لذاته ويحافظ عليه، وهو يعبر عن اتجاه بالموافقة أو عدم الموافقة، ويدل على الدرجة التي يعتقد بها الفرد أن له قيمة وأهمية، فتقدير الذات نابع من الفرد لذاته ويعكس به فكرته عن خبراته الشخصية وذاته وإذا ما كان هذا التقدير إيجابياً فإن ذلك يدعوه لاحترام ذاته الأمر الذي سيؤدي إلى التكيف النفسي (معتز عبد الله ومحمد التويجري، 2001).

خامساً: النموذج الياباني في التحديث:

الدروس المستفادة:

مرت اليابان بمراحل أساسية في التغيير، منذ مرحلة حكم أسرة توكوغاوا Tokugawa، وإصلاحات تامبو Tempo، وإصلاحات الإمبراطور مايجي Meiji التي حولت اليابان إلى دولة عظمى والدولة الأقوى في جنوب آسيا وشرقها في الفترة الممتدة من عام 1894 حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (مسعود ضاهر، 2002:13). وكان التراكم الداخلي والإيجابي والإصلاحات الشمولية شرطين متلازمين لبناء عملية التحديث واستمرارها على قاعدة التنمية البشرية المستدامة. فاقتباس مقولات من الخارج لا يمكن أن يعطي ثماراً إيجابية في التحديث السليم ما لم تكن البنى الداخلية، وبشكل خاص الإنسان **الحر والمبدع** مستعداً لتقبل تلك المقولات والتفاعل الإيجابي معها، وتوطينها وتطويرها لتتحول إلى حداثة تتلافى سلبيات التغريب أو الاستلاب. ومن هنا فنحن ــ المجتمع العربي ــ نحتاج إلى تلمس فعاليات هذه الآليات لتحقيق نهضة حقيقية مستقلة، نابعة أولا من واقع مجتمعنا وثقافته المميزة.

وقادت عملية التحديث بعد الحرب العالمية الثانية اليابان إلى تبدلات اقتصادية واجتماعية واسعة جداً كان من نتائجها المباشرة نشر مفاهيم ومقولات جديدة تمجد روح الانضباط لدى اليابانيين، وتقاليد العمل الجماعي. فمفهوم "الروح اليابانية" هي التجسيد النظري لمقولات الهوية والوحدة وقدسية الإمبراطور من جهة، والتجسيد العملي لمقولات السلم الاجتماعي وتغليب مصلحة اليابان العليا على كل ما عداها من المصالح الفردية والفئوية، من جهة أخرى، و الاعتماد الكبير على الإدارة اليابانية التي اعتمدت الكفاءة بالدرجة الأولى فشكلت صمام الأمان لاستمرارية النهضة اليابانية على الرغم من الفساد المالي والسياسي (مسعود ضاهر، 2002:220).

وعلى الجانبين التربوي والثقافي، وبخلاف الثورتين الفرنسية والأمريكية السياسيتين بشكل أساسي، فإن التغييرات الثقافية التي صاحبت التحديث قد سبقت ثورة المايجي الفعلية حيث كانت إعادة المايجي أول محاولة لثورة شاملة في العصور الحديثة. بالإضافة إلى تمتع اليابان بنسبة مرتفعة جداً من التعليم الأمر الذي ساهم في تطوير المجتمع الياباني انطلاقاً من برامج تجربة التحديث الأولى على مختلف المستويات. فطوال الفترة السابقة على اندلاع الحرب العالمية الثانية كانت اليابان تشكل الدولة الأرفع مستوى للتعليم في القارة الآسيوية بأكملها. فمن المعروف أن نظام التعليم عميق الجذور في اليابان ففي عهد دولة المايجي كان تعليم جميع اليابانيين هدفاً رئيسياً حيث تم فرض قانون التعليم الإلزامي عام 1872 أي قبل فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية (ناغاي ميتشيو وميغال أوروتشيا، 1993)، كما أن جامعة طوكيو قد تأسست منذ عام 1877 وأعقبها جامعات أخرى لعبت دوراً ملحوظاً في زيادة عدد حاملي الشهادات الأكاديمية. فتشكلت نخب ثقافية مزودة بعلوم عصرية كان لها الدور البارز في تنشيط الحياة الثقافية والفنية والأدبية والعلمية في اليابان. كما أدخلت

اليابان تغييراً جذرياً في نظام التعليم بموجب قانون التعليم لعام 1947 عرف باسم "قانون التعليم الأساسي" (The Basic Education Law) واعتبر هذا القانون مدخلاً مهماً لإصلاح نظام التعليم بهدف رفع مستواه (مسعود ضاهر، 2002:142).

وأدخلت اليابان مفاهيم "الحرية الشخصية" ، "تمايز الفرد" ، "المبادئ الديمقراطية"، وشرعت حقوق الإنسان واحترام طاقاته الإبداعية الفردية، كما أن المطلع على المقررات الدراسية اليابانية في التربية الأخلاقية سيجد بعض المفاهيم مثل "احترام حرية الآخرين" و "التصرف بما يناسب معتقدات الفرد" بالإضافة إلى العديد من القيم التربوية التي تميز اليابان (كوثر كوجك وسعد أحمد، 1991). كما شجعت القيادة العليا في اليابان **تكوين المنظمات الشبابية والعمالية والنسائية** التي تتخذ من الديمقراطية منطلقاً لها. ومن ناحية أخرى رحب اليابانيون باعتماد مبدأ اللامركزية الإدارية وبالاعتراف **بحقوق المرأة، وبإصلاح النظام التعليمي.** ولقد رأى الشعب الياباني أن أفرادا ذوي مواهب حقيقية يعينون في مراكز قيادية بالرغم من مراتبهم المتدنية، حيث بدا لهم أن آفاقا جديدة بدأت تتفتح أمام أفراد الشعب (ناغاي ميتشيو وميغال أوروتشيا، 1993). ومع موافقة القوى اليابانية على هذه التوجهات ذات المنحى الديمقراطي بدأ المجتمع الياباني المعاصر يقترب تدريجياً من المفاهيم السائدة في الغرب وأبرزها تعزيز التضامن بين اليابانيين على أساس المصالح المشتركة للقوى الشعبية، ورفض النزعة العسكرية التوسعية السابقة، وإعادة اليابان إلى الساحة الدولية قوة مسالمة ترفض كل أشكال الحروب. وعلى الرغم من العزلة التي فرضتها اليابان على نفسها في مرحلة توكوغاوا ودامت قرابة القرنين ونصف القرن، لم تغلق اليابان جميع أبوابها في وجه الغرب، بل أبقت على منافذ للتفاعل في مختلف المجالات. وتمسك مصلحو اليابان بمقولتين أساسيتين:

- الإيمان الراسخ بأن المجتمع الياباني كان متجانساً على الدوام، وبالتالي لابد من رفض كل ما يثير التفرقة بين اليابانيين.
- الإيمان شبه المطلق والثابت بخصوصية القومية اليابانية أو الهوية القومية المتميزة لليابان (Unique National Identity).

حقيقة الأمر قد تشكلت نظرية الهوية اليابانية المتميزة بمقولات ثقافية بثها المصلحون، ومنها العلاقة الوثيقة بين الهوية القومية وولادة الدولة القوية في اليابان. ثم ارتبطت بها جميع مقولات التحديث المستمر، والتربية البشرية المستدامة، وتجنيد كل طاقات الشعب في الإنتاج، والانفتاح الكامل على الثقافات والحضارات الغربية، والإيمان الراسخ بفرادة الشعب الياباني وتجانس فئاته الاجتماعية ورفض مقولة الصراع الطبقي.

وفي ضوء الاستعراض الموجز للخبرة اليابانية، واستناداً إلى واقعنا الكويتي، يمكننا الخروج من هذه التحليلات بمجموعة من الاستخلاصات التي يمكن أن تفيد في صياغة نموذج تصوري لتنمية الذات الكويتية وتأهيلها:

- **التقويم الفردي للذات الكويتية:** من الضروري خلق ذات قادرة على التقويم الفردي والنقد والتأمل الذاتي، حيث يسمح هذا التقويم بتطور الذات عبر مراحل متسقة ومتقدمة باستمرار، وحيث يعيد هذا التقويم مسيرة الذات والعمل الدائم على دفعها إلى آفاق جديدة من العمل والإنجاز والتغلب الدائم على مظاهر القصور.

- **الحاجة إلى التفتح وقبول الآخر:** يؤكد برهان غليون في مؤلفه "اغتيال العقل" أن التطورات التي مر بها المجتمع العربي ثقافياً وسياسياً وأيديولوجياً قد أدت إلى أزمة في أبعاد روحية ومادية ملموسة. وقد انعكست هذه الأزمة على الإنسان العربي عامة والكويتي خاصة، الأمر الذي أدى إلى فقدان الأمن والطمأنينة وزوال كل اليقين والخوف من العالم والميل إلى الانطواء على النفس، والتخلي عن كل موقف إيجابي تجاه الواقع، والخلود إلى موقف السلبية الشاملة المتجسدة في رفض الذات وفي رفض الآخر معاً (برهان غليون، 1990). ومن ثم فنحن نحتاج اليوم إلى ذات متفتحة ولديها حضور في المجتمع وقابلة للآخر، حتى نستطيع أن نحقق نهضة تنموية حقيقية. ويتجلى هذا المعنى واضحاً من خطابات صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح (رحمه الله) في السنوات الأخيرة وتأكيده على قيم جديدة تفسح المجال للاختلاف المذهبي والاجتماعي والفكري وتهيئ المجتمع لفكرة قبول الآخر سواء كان فرداً أم فكراً.
- **الحاجة إلى مؤسسات تعليمية متطورة:** مع انطلاق الثورة العلمية التقنية المعاصرة بدأت تظهر معايير جديدة خاصة بتوزيع الثروة في العالم. فلم تعد الثروة بشكلها التقليدي كالمال والموارد الطبيعية هي الأساس في القوة بقدر ما هي المعلومات والمعارف (علي نصار، 2000:138). وأصبح الهدف من التعليم ــ اليوم ــ هو الإعداد لعالم دائم التغير، يحتاج إلى القدرة على التلاؤم والتكيف، دون أن ينجرف مع تيار الأحداث فيفقد القدرة على التغيير وصنعه وضبطه وتسييره. وفي ظل التحول إلى اقتصاد السوق يتطلب وجود أفراد حاصلين على تعليم مرتفع الجودة، وأصحاب كفاءات ودافعية مرتفعة لقيادة المجتمع للحصول على مزايا تنافسية، وهذا لن يتحقق إن لم يكن هناك نظام تعليمي متميز ومعلمون مؤهلون تأهيلاً تاماً وعليه فإنه يتوجب على المؤسسات التعليمية أن تختار الأشخاص المناسبين ليتولىّ مهنة التعليم، ولذلك تنامي الاهتمام العالمي بالبحث عن أدوات وأساليب قياس صادقة لتشخيص الصفات المميزة للمعلم الناجح، ولاسيما فيما يتعلق بمكونات شخصيته، وهذا ما أكده "علي الراشد" (2001)، في دراسته عن سمات الشخصية وأثرها في أداء المعلم في المملكة العربية السعودية.
- **تمكين المرأة باعتبارها فاعل تنموي:** سؤال ضروري من المهم التعامل معه عملياً وواقعياً: هل يمكن تنمية المرأة الكويتية بمنأى عن السياقات المجتمعية، الأيديولوجية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي تعيش من خلالها؟ بمعنى أخر هل يمكن أن تحدث تنمية حقيقية مرغوبة وشاملة لجزء من المجتمع بمعزل عن بقية أجزائه ومكوناته؟ ومن ثم لابد من تهيئة الظروف المجتمعية لدعم المرأة وتمكينها لتقوم بدورها النوعي ذي الوجهين المتفاعلين جدلياً، الخاص والعام.
- **تفعيل أدوار مؤسسات المجتمع المدني:** إن الأصل في تكوين المجتمع المدني هو أن يشكل فضاءً خاصاً يمنح الرجال والنساء القدرة على النشاط الطوعي والعمل الحر في إطار الصالح العام. ولذلك فالمجتمع المدني يشكل في النهاية ميداناً لممارسة الحرية والمواطنة من أجل تحقيق الصالح العام، سواء بالرقابة والضبط لسلوك

الدولة والسوق أم بتحسين ظروف فئات اجتماعية بعينها (أحمد زايد، 2001). ومن ثم نحن بحاجة إلى تفعيل أدوار مؤسسات المجتمع المدني لتحقيق نهضة تنموية وترسيخ قيم العمل الأهلي في منظومة القيم الأساسية.

- **تعميق الانتماء والولاء للوطن:** لعل أبرز الدروس المستفادة من التجربة اليابانية هي إصرار اليابانيين على أن تقوم المدرسة بتنمية شخصية الطالب بإقامة التوازن ما بين التراث والمعاصرة، والجماعة والفرد، حقوق الوطن وحقوق المواطن، الحرية الشخصية وحرية الآخرين، الولاء للجماعة والولاء للدولة، والتمايز الفردي والانتماء للأمة. فالإنتماء هو شرط لازم للولاء، وذلك من العلم بالتاريخ واستيعاب الحضارة، حتى لا يكون الانتماء للوطن مجرد صدفة جغرافية لا مغزى لها. وتحقيق هذا الدرس يحتاج إلى تعاون جميع الأطراف من رجال الفكر ودور العلم والعبادة والمؤسسات السياسية والاقتصادية ورجال الدعوة والإعلام.

سادساً: سيناريوهات مقترحة:

بالمعايشة الحية والقراءة المتأنية لواقع المجتمع الكويتي، نستطيع أن نطرح مجموعة من السيناريوهات التي لابد من سيادتها على أرض الواقع؛ حتى تتحقق تنمية ذاتية حقيقية:

السيناريو الأول: ضرورة سيادة الذات المنتجة في مقابل الذات المستهلكة:

في ظل آليات الهيمنة العالمية تحولت الثقافة الاستهلاكية ــ إحدى مجالات تدويل النظام الرأسمالي ــ إلى آلية فاعلة لتشويه البنى التقليدية وتغريب الذات وعزلها عن قضاياها. والخبرة المعاشة تؤكد أن الذات المستهلكة في المجتمع العربي عامة والمجتمع الكويتي خاصة هي السائدة . فقد تحول نمط الاستهلاك ــ الآن ــ من "الاستهلاك الفردي–الطبقي" إلى "الاستهلاك الجماهيري". مما نتج عنه ما يسمى بـــ "المجتمع الاستهلاكي"Consumer Society، الذي يقوم إما على فلسفة الهدر على حساب الدولة، وإما على الهدر على حساب الفرد والأسرة (ويلاحظ أن الهدر في دولة الكويت يقوم على الاثنين معا). إن نقطة التحول هذه التي مهدت إلى نشوء المجتمع الاستهلاكي، تحثنا –أيضا– على ضرورة البحث عن نقطة التحول في نمط الاستهلاك في تاريخ الكويت والكويتيين. فالتحول من مجتمع قائم على توفير الاحتياجات الأساسية إلى مجتمع قائم على نمط الاستهلاك المفرط أو الهدري، تعد مسألة هامة لأنها ستبين لنا الأسباب الضمنية التي أدت إلى انتشار قيم الاستهلاك الخبيث في المجتمع وسلوكياته. ومن ثم نحتاج اليوم إلى سيادة الذات المنتجة على الذات المستهلكة حتى نضمن مستقبلنا، وبالتالي لابد من تعبئة أفراد المجتمع الكويتي إلى مزيد من الإنتاج وترشيد الاستهلاك.

السيناريو الثاني: أهمية سيادة الذات الجماعية في مقابل الذات الفردية:

كان سلوك الإنسان الكويتي يتحدد بقيم أصيلة تتسق وطبيعة تراثه وهوية مجتمعه، ألا وهي قيمه الجمعية وإعلاء المصلحة العامة وتحقيق التوازن بين المصلحة الفردية والعامة، وهذا ما كنا نلاحظه بوضوح في الثقافة التقليدية بالمجتمع الكويتي. ولكن سرعان ما تغيرت القيم في ظل التحولات المتسارعة، حيث اتجهت الذات إلى تبنى قيم الفردية والتمحور حول مصالحها الشخصية، وأصبح الفرد يعمل لنفسه بعد أن كان يعمل من أجل المجموع . وفي ضوء ما تقدم نحن اليوم في أمس الحاجة إلى الذات الجماعية التي تهدف وتفكر من أجل الجميع وتعلي من شأن روح الفريق.

السيناريو الثالث: ضرورة تشجيع الذات المبدعة في مقابل الذات المقلدة:

تسود مقولة في ظل العولمة تشير إلى اختفاء دور المصمم والمبدع، ليحل محله مروج السلعة وبائعها، تلك السلع التي تنتجها الشركات متعددة القوميات وفق نظام الإنتاج عن بعد. وفي المقابل يؤكد "إفرت هيجن" Everett .E Hagenعلى أهمية الذات في نظريته عن التغير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية موضحاً أن المستوى العالمي من الإبداع الخلاق هو الدعامة الرئيسية لإحداث التنمية. أي إن الشخصية الإبداعية تمثل ضرورة أساسية في التنمية، وإن التقدم التكنولوجي يتطلب تنظيماً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً جديداً وشبكة علاقات اجتماعية جديدة. وبعبارة أخرى إن التقدم التكنولوجي في البلدان النامية يتطلب درجة عالية من الإبداع الخلاق كما حدث في الغرب. ومغزى هذا السيناريو أن نتحول من مقلدين وتابعين للمجتمع الغربي، فبدلاً من أن نستهلك التكنولوجيا لابد من أن نساهم ونشارك في إنتاجها، ولن يتأتى ذلك إلا بذاتٍ قادرة على الابتكار والإبداع.

السيناريو الرابع: المساواة النوعية في مقابل التحيز النوعي:

تؤكد الدراسات الحديثة أن الاختلاف النوعي بين الجنسين يلعب دوراً مؤثرا في نمو الذات (Hannover, 2000)، لذلك من المفيد أن نتطرق إلى الفروق التربوية والاجتماعية بين الجنسين في ثقافتنا وتراثنا العربي، حيث تنظر الذات في الوطن العربي إلى المرأة نظرة غير عادلة، تجعل من مسألة تحرر المرأة أمراً غير ملح في المجتمع العربي، لأن العلاقات الأبوية واضطهاد الرجل والأعراف تجعل منها إنساناً مستغلاً ومستضعفاً. فعلى الرغم من أن الدساتير والتشريعات تقر المساواة بالرجل، إلا أن المرأة مازالت سجينة قوانين الأحوال الشخصية وقيم المجتمع التقليدية. ومن ثم نحتاج إلى إزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة، فمن أخطر آثار التمييز وعدم المساواة هي تدني وضع المرأة وعدم الاهتمام بها وتعليمها مثل الرجل، وبالتالي لابد من إحداث التغيير في العقليات والمفاهيم والاتجاهات.

إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن المجتمع الكويتي يعتبر من المجتمعات العربية الرائدة في تمكين المرأة وإشراكها في الحياة الاجتماعية في العديد من المجالات الوظيفية والتعليمية والتجارية ــ وأخيراً السياسية (2006). ففي المجتمع الكويتي القديم كان للمرأة دور فاعل على المستوى الأسري والاجتماعي، وقد زادت مساهمة المرأة الكويتية في فترة ما بعد النفط لتشارك في نهضة البلاد التعليمية، فخروج المرأة الكويتية للعمل كان متزامناً مع انتشار التعليم والنهضة الحضارية فلم يكن هناك معارضة اجتماعية تذكر (دلال الزبن، 1989). وقد ساهمت هذه الثقافة الكويتية المتقبلة لعمل المرأة ــ ومازالت ــ في إدراك المرأة العاملة لذاتها، وفي تحديدها لذاتها من خلال عملها الذي تتجزه وعلمها الذي تتعلمه، وبذلك أصبح بإمكانها أن تتخلص من صفات الضعف والدونية، كما خروجها للعمل وكفاءتها في أداء وظائفها قد مكنها من تحقيق مستوى عالٍ من النضج ونمو الشخصية (عبدالرؤف الجرداوي، 1986).

ومن المثير حقاً أن نعلم الإناث أكثر استجابة لتنمية الذات مقارنة بأقرانها الذكورــ كما أشارت دراسة "إبراهيم الخليفي" (2002)، لأنه وجد أن هناك فروقاً نوعية بين الجنسين من حيث: أ- السلوك المعبر عن الذات، ب- حماية الذات، ج- تنمية الذات (ويقصد بها "ذلك التغير الإيجابي المتواصل في كل جوانب شخصية الفرد بما يمكنه من تحقيق

أقصى إشباع ممكن لحاجاته وفق مفاهيم الواقعية والمسؤولية والصواب في سلوكه،" وفي كل المقاييس الثلاثة (التي تم تقنينها في البيئة الكويتية) كانت استجابات الإناث أعلى من الذكور (2002:157).

السيناريو الخامس: ضرورة تخليص نموذج التربية في العائلة الكويتية من بعض التشوهات الثقافية والاجتماعية:

الواقع أن نموذج التربية في مجتمعنا الكويتي (كما في بقية البلدان العربية) يكتنفه العديد من السلبيات، التي تحتاج إلى مراجعة، لتخلق ذاتاً قادرة على المواجهة في عالم متغير، ومما لاشك فيه أن أساليب التنشئة الأسرية تؤثر في شعور الأبناء بالأمن النفسي الذي سيؤثر بدوره في إحساس الأبناء بقيمتهم الذاتية وبتقديرهم لذاتهم، حيث أثبتت دراسة "علاء الدين كفافي" (1989) التي طبقت على طالبات المرحلة الثانوية في قطر، أن هناك علاقة طردية بين أساليب التنشئة الوالدية الصحيحة ــ من المنظور النفسي والتربوي ــ وشعور الأبناء بالأمن النفسي وتقدير الذات والعكس صحيح. ومن أبرز السلبيات التربوية في مجتمعاتنا:

- تلقى البنت في مرحلة الطفولة اهتماماً أقل من الذي يلقاه الصبي.
- العائلة لا تتيح للطفل سوى مجال ضيق لتحقيق استقلاله الذاتي. لذا سرعان ما يتعلم الاعتماد على الآخر والعزوف عن النشاط المستقل.
- النظام الاجتماعي التربوي في العائلة لا يعلق أهمية كبرى على تنمية قدرة التساؤل الحر عند الفرد وتنمية نضوجه الذهني نضجاً مستقلاً.
- النظام التربوي والاجتماعي، يثني الطفل عن الثقة في آرائه الخاصة ويشجعه على قبول آراء الآخرين دون تساؤل.
- الإفراط في الحماية وتأثيره السلبي في نمو شخصية الطفل.
- من أهم الطرق المتبعة في تربية الطفل العربي طريقة التخجيل، " أريك فروم" يقول "لاشيء أكثر تأثيراً وفاعلية في سحق معنويات الفرد من إقناعه بأنه تافه ورديء" (1989:42).

الخـــاتمـــة:

استعرضنا في هذة الدراسة العديد من التعريفات التي تناولت الذات من منظورات مختلفة لمعرفة ماهية الذات وكيفية تشكيلها وبماذا تتأثر على المستويين الفردي و الاجتماعي. كما بينا كيف يلعب المجتمع دورا مهماً في تشكيل الذات سواءٌ المحلي أم الخارجي الذي بدأ يؤثر تأثيراً متصاعداً في تشكيل ذواتنا بوسائل الإعلام و تكنولوجيا الإتصالات والعولمة بكل ما تحمل فيها من ثقافات واردة من كافة شتات الأرض. والذات الكويتية ليست بمنأى عن المؤثرات الخارجية التي لعبت – ولاسيما في العقدين الماضيين – دورا فاعلاً في تشكيل الذات الكويتية. لذا كان الاعتبار بالذات ذا أهمية كبيرة في الكويت التي تحاول جاهدة أن تولى إهتماماً خاصا بمصادر تشكيل الذات وهي الأسرة والمدرسة وجماعة الأقران ووسائل الأعلام حتى تخرج جيلا كويتياً ذا شخصية مبدعة ومثالية، فلما انتهجت اليابان أسلوبا علميا جديا في تحديد الذات واستطاعت بهذه الهيكلة الجديدة أن تصبح دولة رائدة بسبب تمتع أبنائها بذات مبدعة ومثالية، كان تطوير الذات وتنميتها مطلبا هاما للمجتمعات الحديثة، ولاشك أن هناك العديد من المؤسسات التي تعنى بهذا الأمر في الكويت إلا أنها مازالت لا ترتقي إلى المستوى المطلوب ليواكب العصر الذي نعيش فيه الآن فالحاجة ماسة هنا لتقويم الذات الكويتية وما يشوبها من سلبيات لابد من توضيحها حتى يتسنى لنا إيجاد بعض المقترحات التي قد تسهم في تنمية الذات الكويتية. وقد استخلصنا بعض العناصر من واقع مجتمعنا الكويتي التي يمكن اعتبارها معوقات لتنمية الذات، ومن ثم طرحنا مجموعة من السيناريوهات التي نرى أنه من الواجب حدوثها حتى تتحقق التنمية الذاتية الحقيقية.

Abstract

Contemporary influences on self building in Gulf society: Kuwait is an example

By Fawaz Oweid Elanzy

This study casts to present a description for the concept of self and some of the studies that dealt with this concept and how it is constituted and the social organizations that contribute to the formation of self (such as family, school, peers, and mass media). Next, I tried to present this concept in light of globalization and the changes that occurred in societies around the world because of the new technologies of communication and their effects on the self. Furthermore, I used the Japanese experience as a successful model in improving the self, and drew upon some results that can be used in Kuwaiti society. Finally, the paper projected some scenarios that should be expressed to improve the Kuwaiti self.

المـــراجـــع:

السيد علي شتا (1997). **الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية.** مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية.

السيد يسين (2001). **المعلوماتية وحضارة العولمة: رؤية نقدية.** القاهرة: دار نهضة مصر.

أحمد عزت راجح (1973). **أصول علم النفس: يقرؤه المعلم والأخصائي الاجتماعي وطالب الفلسفة.** بيروت: دار القلم.

أحمد مجدي حجازي (1999). **العولمة وتغريب الذات الوطنية : الإنسان المصري في ظل متغيرات كوكبية،** الندوة السنوية الخامسة لقسم الاجتماع: الشخصية المصرية في عالم متغير، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

أحمد زايد (1996). **حول تشكل الذات في سياق التخلف،** أعمال الندوة السنوية الثالثة لقسم الاجتماع: الذات والمجتمع في مصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

أحمد زايد (2001). **إشكالية تأسيس المجتمع المدني وخصوصية الحداثة العربية،** مؤتمر المجتمع المدني والتحول الديموقراطي، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر.

أحمد زايد (2005). **تناقضات الحداثة في مصر،** عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة.

إبراهيم الخليفي (2002). الفروق بين أداء الجنسين على مقياس محبة الذات. **المجلة التربوية:** جامعة الكويت، (64):151-173.

إقبال الغربللي (1996). "**صاحب الشخصيات المتوازنة**" في دراسات نقدية في ديوان بوح البوادي ص 201-202، إعداد وتحرير فوزي عيسى. الكويت: ذات السلاسل.

إريك فروم (1989). **الإنسان بين الجوهر والمظهر!!.** ترجمة سعد زهران. عالم المعرفة: الكويت، عدد (140).

باسم خريسان (2001). **العولمة والتحدي الثقافي.** بيروت: دار الفكر.

بشير الرشيدي (1995). **التعامل مع الذات: نموذج في الإرشاد النفسي والصحة النفسية.** الكويت: مجموعة إنجاز العالمية للنشر والتوزيع.

برهان غليون (1990). **اغتيال العقل.** القاهرة: مكتبة مدبولي. الطبعة الثالثة.

برهان غليون (1999). **ثقافة العولمة وعولمة الثقافة.** دمشق: دار الفكر.

جمال أبو شنب (1995). **بناء الشخصية والتفاعل في الجماعة التعليمية.** الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

جمال أبو شنب (1996). **تحليل نقدي لدور الذات في تشكيل البنى السياسية في مصر تاريخيا،** أعمال الندوة السنوية الثالثة لقسم الاجتماع: الذات والمجتمع في مصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

جمال الدهشان (1998). **ملامح إطار جديد للتعليم في الدول العربية في ضوء المتغيرات العالمية والإقليمية،** ندوة التحديات التربوية في القرن الحادي والعشرين، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة.

حامد خليل (1993). **أزمة العقل العربي.** دمشق: دار كنعان.

حمد الدعيج وعماد سلامة (2007). أثر العولمة في القيم من وجهة نظر طلبة الجامعة الأردنية وجامعة الكويت. مجلة العلوم الاجتماعية: جامعة الكويت، (35):13-39.

دلال الزبن (1989). **مفهوم العمل عند المرأة الكويتية.** الكويت: منشورات ذات السلاسل.

فلاح الربيعي (2004). آثار العولمة الاقتصادية على الهوية الثقافية. **مجلة علوم انسانية**، 12،www.uluminsania.net.

سامي محمد ملحم (2001). **الإرشاد والعلاج النفسي: الأسس النظرية والتطبيقية.** عمان: دار المسيرة للنشر.

صالح محمد جادو(2002). **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية.** عمان: دار المسيرة للنشر.

كمال التابعي (1996). **تشوهات قيم الذات في المجتمع: مظاهرها وظروف تشكلها**، أعمال الندوة السنوية الثالثة لقسم الاجتماع: الذات والمجتمع في مصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

كوثر حسين كوجك وسعد حسن أحمد (1991). **التربية والتحدي (التجربة اليابانية).** القاهرة: عالم الكتب.

محمد محمود الجوهري (1980). **معجم علم الاجتماع**، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق.

محمد عابد الجابري (1994). **المسألة الثقافية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

محمد عابد الجابري (2003). **قضايا في الفكر المعاصر.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

محمد عبد النبي (1996). **تصور الذات والوعي الاجتماعي**، أعمال الندوة السنوية الثالثة لقسم الاجتماع: الذات والمجتمع في مصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

مجدي عبد الحافظ (1996). **جدلية تخارج الذات: تكونها الاجتماعي وعلاقته بالحداثة**، أعمال الندوة السنوية الثالثة لقسم الاجتماع: الذات والمجتمع في مصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

مسعود ضاهر (2002). **النهضة اليابانية المعاصرة – الدروس المستفادة عربياً**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

معتز سيد عبدالله ومحمد التويجري (2001). اتجاه السعوديين نحو سعودة الوظائف وعلاقته بكل من تقدير الذات والدافعية للإنجاز. **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية:** جامعة الكويت، الرسالة 172: 7-74.

ناغاي ميتشيو وميغال أوروتشيا (1993). **نهضة اليابان (ثورة المايجي إيشين).** بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

عبدالرحمن محمد عيسوي (2002). **سيكولوجية الشخصية.** الإسكندرية: منشأة المعارف.

عبدالرؤف الجرداوي (1986). **مشكلات المرأة العاملة: الكويتية والخليجية واتجاهاتها.** الكويت: منشورات ذات السلاسل.

علاء الدين كفافي (1989). تقدير الذات في علاقتة بالتنشئة الوالدية والأمن النفسي. **المجلة العربية للعلوم الإنسانية:** جامعة الكويت، (35):100-128.

علي الزعبي (2004). العولمة والثقافة: عرض وصفي–نقدي، **السياسة الدولية:** القاهرة، أكتوبر، العدد (158):20-29.

علي أحمد الراشد (2001). بعض السمات الشخصية واثرها على أداء المعلم في المرحلة الإبتدائية. **المجلة التربوية:** الكويت، عدد(58): 55-79.

على نصار (2000). **بلورة رؤية عربية في الموجهات الإجرائية لسياسات تعليم الكبار**، في موجهات إجرائية لسياسات تعليم الكبار في الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المؤتمر الإقليمي حول التعليم للجميع، القاهرة .

هادي نعمان الهيتي (2003). **إشكالية المستقبل العربي.** بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.

هشام شرابي (1987). **البنية البطركية: بحث في المجتمع العربي العاصر.** بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

هشام شرابي (1993). **النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي** ــ ترجمة محمود شريح. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

المراجع الأجنبية:

Cooly, C. (1964). **Human Nature and the Social Order.** New York: Scotken.

Giddens, A. (1991). **Modernity and Self-identity.** Stanford: Stanford University Press.

Hannover, B. (2000). **Development of self in gendered context.** In Eckes Thomas et al. (eds.) The Developmental Social Psychology of Gender. NJ: Lawrence – Erlbaum Associates, 177-206.

Mead, G. (1967). **Mind, Self, and Society.** Chicago: University of Chicago Press.